مركز البيان للدراسات والتخطيط
Al-Bayan Center for Planning and Studies

میرات
گروه بررسی‌های راهبردی

الإحاطة بالأضرار والسياسات المتاحة في زيارة الأربعين

(ملخص استراتيجي)

أمير هاشمي مقدم

ترجمة: محمد حمادي

عن مجموعة ميراث للدراسات الاستراتيجية

إنَّ مجموعة ميراث للدراسات الاستراتيجية هي مؤسسة فكرية غير ربحية مقرها في طهران. ويتمثل أحد أهداف هذه المؤسسة في تقديم الحلول للقضايا الاجتماعية والثقافية للشيعة في إيران.

لقد أعدت مجموعة ميراث التقرير التالي وتمت ترجمته إلى اللغة العربية بناءً على اقتراح مركز البيان.

للمزيد من المعلومات والوصول إلى التقارير والأنشطة، يرجى زيارة موقع ويب مجموعة ميراث للدراسات الاستراتيجية على العنوان التالي: www.mssinst.com

---

عن مركز البيان للدراسات والتخطيط

مركزُ البيان للدراسات والتخطيط مركز مستقلٌ، غيرُ ربحيٍّ، مقرُّه الرئيس في بغداد، مهمته الرئيسة –فضلاً عن قضايا أخرى– تقديم وجهة نظر ذات مصداقية حولَ قضايا السياسات العامة والخارجية التي تخصّ العراق بنحو خاصٍ، ومنطقة الشرق الأوسط بنحو عام. ويسعى المركز إلى إجراء تحليلٍ مستقلٍّ، وإيجاد حلول عمليَّة جليَّة لقضايا معقدة تهمُّ الحقليْنِ السياسي والأكاديمي.

ملحوظة:

لا تعبِّر الآراء الواردة في المقال بالضرورة عن اتجاهات يتبناها المركز، وإنَّما تعبِّر عن رأي كتابِها.

حقوق النشر محفوظة © 2023

www.bayancenter.org
info@bayancenter.org

Since 2014

الإحاطة بالأضرار والسياسات المتاحة في زيارة الأربعين (ملخص استراتيجي)

أمير هاشمي مقدم *

1. عرض القضية

تشهد مسيرة الأربعين منذ سنوات عدة انتعاشاً وازدهاراً كبيراً، إذ حظيت بحفاوة لا مثيل لها من قبل شيعة العالم ولا سيما الإيرانيين. وتبلورت هذه الحفاوة والاستقبال بمشاركة سنوية لقرابة 3 ملايين إيراني كحد وسط في هذه المراسم. وفضلاً عن القيم الدينية والنتائج المفيدة لهذه المراسم، فهي تعزز العلاقات الوثيقة بين الشعبين الإيراني والعراقي وتحافظ على الشعائر الشيعية وتوطيدها، وبالطبع يتسبب عدد الزوار الكبير المثير للاهتمام، بأضرارٍ سلبية غير مستحبة أيضاً. وخلال آخر مسيرة أربعين أُقيمت في شهر أيلول 2022، ظهرت مشكلات على نطاق واسع في عمليات نقل المسافرين، والازدحام، والإشراف على جوازات السفر وعمليات العبور من الحدود، وتقديم الخدمات الصحية والإطعام وغيرها، بسبب حضور عدد يفوق الحد من الزوار على الحدود العراقية. وأفضت هذه المشكلات إلى إصابة عدد كبير من الزوار بفرط الحرارة (ضربة الشمس)، وموت بعضهم، وظهرت انتقادات على نطاق واسع حول طريقة إدارة المراسم، وردود فعل سلبية كبيرة في بعض وسائل الإعلام ولا سيما وسائل الإعلام الأجنبية.

تأسيساً على ذلك فإنه من الضرورة دراسة كافة أبعاد أضرار مسيرة الأربعين. وما سوف تقرأونه تالياً، هو عبارة عن موجز حول نتائج البحث للإجابة عن هذه الضرورة.

2. أهمية الموضوع

يمكن لحدث زيارة الأربعين بل ينبغي له أن يُحقق نتائج إيجابية لكلٍ من إيران والعراق وكذلك للشيعة برمتهم. وبسبب سلوكيات بعض الزوار وجزء من سوء الإدارة في هذا الحدث، فإن انتقادات وأحاديث جانبية آخذة في التبلور، تصبحُ أشد وضوحاً في بعض الأطوار من الحدث الرئيس، وتخدش جوهر المراسم ونتائجها الإيجابية.

* دكتوراه انثروبولوجيا واستاذ في جامعة مازندران شمالي إيران. مختص في انثروبولوجيا السياحة ومؤلف لعدد من الدراسات والبحوث المتعلقة بالسياحة والزيارات الدينية في العراق وإيران.

دون أدنى ريب إذا لم تُعالج هذه النواقص والانتقادات التي تطال الإدارة، فسوف تُوفر فرصة لأعداء التشيع وخصوم الشعبين الإيراني والعراقي ليشوهوا حدث الأربعين برمته ويشنعون عليه. ومن جهة أخرى تتنافى بعض هذه الأضرار مع روح زيارة الأربعين والأصول الدينية المرتبطة بها أيضاً، إذ لا ينبغي تخطيها بسهولة والتعامي عنها.

3. هدف البحث

نسعى في هذا التقرير إلى معرفة الأضرار الرئيسة في مسيرة الأربعين، وتصنيفها بشكل موضوعي ومن ثم إيجاد الحلول للحد منها.

4. منهجية البحث

أفدنا من طريقتين اثنتين هما الطرق الميدانية والمكتبية بهدف جمع بيانات هذا البحث. وفي القسم الميداني، شكل الحوار العميق أهم الطرق المتبعة. وقُسمت المقابلات إلى ثلاث مجموعات:

أصحاب الخبرة وأولئك الذين أنجزوا أبحاثاً سابقة حول زيارة الأربعين، والموافقين على إجراء زيارة الأربعين، والمعارضين لها. إذ أُجريت في هذه المرحلة، مقابلات إجمالاً مع 60 شخصاً، كما أفاد الباحث من تجربة مشاركته الميدانية في زيارة الأربعين عام 2018 في إعداد هذا التقرير.

فيما يتعلق بالبحوث المكتبية، ونظراً للكم الكبير نسبياً من الأعمال المؤلفة حول زيارة الأربعين، استندنا في الغالب إلى الأعمال التي تناولت بشكل مباشر أو غير مباشر أضرار هذه المراسم باقتضاب. وفي هذه المجموعة، أبدينا اهتماماً بالكتب والمقالات التحليلية أيضاً فضلاً عن عدد من كتب أدب الرحلات حول زيارة الأربعين.

وفي نهاية المطاف، قمنا بتحليل البيانات والنتائج النوعية بطريقة تحليل المحتوى والبيانات الكمّية باستخدام برنامج (spss) وأعددنا التقرير النهائي.

الطريقة	الأسلوب	التفسير
ميدانية	مقابلات معمقة	مع ثلاث مجموعات: المختصون، الموافقون، المعارضون
	المشاهدة بالمشاركة	تجربة مشاركة الباحث في أربعين عام 2018
التوثيقية	دراسة الكتب والمقالات التحليلية حول الأربعين	دراسة كل المراجع في هذا الشأن
	كتب رحلات الأربعين	دراسة كتب عدة من أدب الرحلات المنشورة في العالم الافتراضي
	التقارير الإعلامية	دراسة الأخبار المتعلقة بالأضرار

5. خلفية الاهتمام بالأضرار في حدث الأربعين

تقسم المراجع المتاحة حول أضرار حدث الأربعين باللغة الفارسية إلى قسمين:

1. المقالات والكتب التي اهتمت بشكل مباشر بهذه الأضرار، وجرت الإشارة نوعاً ما إلى هذا الموضوع في عنوان الكتاب أو المقال، حيث بلغ عددها كتاباً واحداً ومقالين اثنين.

2. الكتب والمقالات التحليلية أو كتب الرحلات والتي نوهت في ثنايا النص بشكل مباشر أو غير مباشر إلى أضرار زيارة الأربعين.

6. تصنيف الأضرار

بعد دراسة المراجع الموجودة وإجراء حوار مع عدد من أصحاب الخبرة والزوار والنقاد، عمدنا إلى تصنيف الأضرار. قاصدين من وراء هذا التصنيف معرفة أضرار مسيرة الأربعين في مجموعات

عدة، ومن ثم التعريف بالمقومات ومظاهر كل مجموعة، ودراسة أضرار الأربعين في سياق ظاهرة اجتماعية كلية[1] والإحاطة بكل جوانبها تقريباً.

يرى «مارسيل موس» مبدع هذا المصطلح أنه « يتعذر دراسة ظاهرة أو حقيقة اجتماعية في بعد واحد فقط، بل يتعين دراستها بكل أبعادها»[2]. وسوف ندأب بجهد للاقتراب قدر الإمكان من هذه النظرة الاجتماعية الشمولية والكاملة. ويمكن بنظرة عامة تحديد سبعة أقسام من القضايا والأضرار.

أ.القضايا الحكومية؛ ب. القضايا الثقافية الاجتماعية، ج. قضايا البيئة، د. القضايا الدينية، هـ. القضايا السياسية والدولية، و. القضايا الاقتصادية، ز. القضايا السياحية.

وفيما يلي، قمنا بتلخيص الأبحاث المتعلقة بكل مجموعة من القضايا، وننوه أنه في التقرير الرئيس، أجرينا دراسة مفصلة ووافية حول كل مجموعة من القضايا.

أ. القضايا الحكومية

تتمثل أول مجموعة من القضايا التي تظهر خلال إجراء مراسم مسيرة الأربعين، في القضايا الحكومية، والمقصود من القضايا الحكومية هنا تلك المجموعة من القضايا التي تبرز بسبب الإدارة غير الملائمة وسوء التنسيق بين المؤسسات الحكومية المعنية والمنخرطة في حدث الأربعين.

1. ضعف البنى التحتية

يبدو أن المؤسسات الحكومية تفتقد في بعض القطاعات إمكانية إدارة هذه الجموع الغفيرة من الناس وتنظيمها، ولا سيما من ناحية امتلاك البنى التحتية. وتأسيساً على ذلك فإننا نواجه مشكلات من قبل ازدحام الزوار على الحدود ونقص السيارات على طرفي الحدود والازدحام الذي يدوم لأيام عدة على الطرقات ولا سيما في المدن القريبة من الحدود وما إلى ذلك.

2. عدم التنسيق بين المؤسسات الحكومية الإيرانية المعنية

في بعض الأحيان يظهر عدم تنسيق بين شرطة الحدود وشرطة الطرق العامة ووزارة الخارجية

1.Total social fact

2. ناصر فكوهى، تاريخ انديشه ونظريه‌هاى انسان‌شناسى، تهران: نى، ١٣٨١، ص١٤٨.

ومقر الأربعين ووسائل الإعلام الوطنية وغيرها، الأمر الذي يخلق مشكلات جديدة للزوار، على سبيل المثال، تعمد الكثير من المؤسسات إلى الدعاية وبث الإعلانات على نطاق واسع لمشاركة الناس في هذه المراسم، بيد أن المعابر والمحطات الحدودية تعلن أنها تفتقد القدرة على تقديم الخدمات لكل هذه الجموع الغفيرة.

3. عدم التنسيق بين المؤسسات الحكومية الإيرانية والعراقية

في بعض الأحيان يكون الجانب العراقي غير جاهز لاستقبال هذه الجموع المليونية من الزوار الإيرانيين، فتظهر مشكلات في نقل الزوار عبر الحدود العراقية.

4. مراسم مسيرة الأربعين

يتمثل انتقاد الخبراء الإيرانيين والعراقيين الأساس في مشاركة حكومة الجمهورية الإسلامية وتدخلها الفاقع في إجراء مراسم الأربعين. إذ يعتقد هؤلاء الخبراء أن أصالة زيارة الأربعين تتعلق بشعبية هذه المراسم التي تضررت في الوقت الراهن.

5.المنافسة بين المؤسسات

تُقيم الكثير من المؤسسات الحكومية مواكب تفضي إلى ظهور نوعٍ من المنافسة البينية. بينما مسؤوليتها وواجباتها غير معنية بهذا المجال. كما تعمد بعض المؤسسات في بعض الأحيان إلى نقل قسم من إمكانياتها إلى العراق، مما يتسبب في ظهور خلل يصيب كفاءتها في نفس المدة الزمنية في إيران.

6. ارتفاع مستوى ترقب الزوار أكثر من الحد

تساهم دعايات وسائل الإعلام الرسمية حول الإمكانات المعدة للزوار على نحوٍ إذا شعروا فيه بوجود نقص طفيف، في إظهار سخطهم بطرق عنيفة أحياناً مثل تدمير الأسوار الحدودية والدخول إلى الأراضي العراقية بشكل غير قانوني.

7 .التحديات الأمنية

إن الجموع المليونية التي تتنقل خلال فترة زيارة الأربعين بين البلدين، ولا سيما التردد خلال

السنوات التي لا تجري فيها مراقبة جوازات السفر، خلّفت أضراراً أمنية في البلدين.

8. افتقاد المراقبة والإدارة الناجعة

تعد إدارة الحدود ومراقبة العبور، والتنسيق من أجل تأمين الزوار والإشراف على الخدمات الصحية وغيرها، من صلب المهام التي اعتبرها بعض المجيبين تقع على عاتق الحكومة والتي لم تقوَ حتى الآن على الإيفاء بها على أكمل وجه.

ب القضايا الثقافية الاجتماعية

1. الاختلافات الثقافية

على الرغم من التقارب الثقافي بين الشعبين الإيراني والعراقي، ثمة تباينات ثقافية جدية وعميقة بينهما أيضاً، تطل أحياناً برأسها خلال فترة زيارة الأربعين. وتظهر هذه التباينات لا سيما في أربعة مجالات ألا وهي الصحة والطعام والسلوك الديني والعادات والتقاليد. على سبيل المثال يعتبر الكثير من الإيرانيين بعض سلوكيات العراقيين غير صحية. فيما يتهم بعض العراقيين بعض الإيرانيين بالتساهل في أداء الفرائض الدينية أيضاً.

2.التوترات الثقافية

فيما عدا التباينات الثقافية، تظهر أحياناً توترات بين الإيرانيين والعراقيين أيضاً. فذكريات حرب السنوات الثماني أو قيمة تعرفة سيارات الأجرة والحافلات الصغيرة «الفان» في العراق تشكل أساساً لبعض هذه التوترات.

3. مشكلات السيدات

في العموم تُقام التحضيرات لمسيرة الأربعين للرجال ووفق نظرة رجالية، وهذه النظرة تخلق مشكلات للنساء في الطريق والوجهة. على سبيل المثال لم يراعَ موضوع إقامة صلاة الجماعة للنساء على طول الطريق. كما أن السيدات قياساً بالرجال قلما يتاح لهن الوصول إلى المرافق الصحية وتواجهنَ مشكلات أكبر في هذا الصدد.

4. الشائعات

كل عام خلال أيام الأربعين، تنتشر شائعات كثيرة حول هذا الحدث بين الناس ووسائل الإعلام ولا سيما وسائل الإعلام الأجنبية، بدءاً من انتقال أمراض من العراق إلى إيران بالتزامن مع عودة الزائرين مروراً بالنفقات الضخمة التي تتكبدها الحكومة الإيرانية على زيارة الأربعين وغيرها.

5. توقعات في غير محلها من المستضيفين

يظن الكثير من زوار الأربعين الإيرانيين أن هذه الزيارة هي زيارة مجانية، حيث يتعين أن تُتاح لهم كل الإمكانات على النحو الذي يتوقعونه. فيتصرف هؤلاء الأشخاص مع أقل شعور يعتريهم حيال وجود نقص، بحالة الدائن وصاحب الفضل مع المستضيف العراقي. وعلى المدى الطويل سيتسبب هذا التصرف في تغيير نظرة العراقيين إلى الإيرانيين.

6. توقعات العراقيين المماثلة

ينتاب الكثير من العراقيين الذين يأتون إلى إيران ومشهد لزيارة حرم الإمام الرضا، التعجب جراء سلوك الإيرانيين المختلف بوصفهم مستضيفين ويبدون امتعاضهم. ويعربُ الكثير من هؤلاء أنهم لا يترقبون أن يعاملهم الإيرانيون كما جرت معاملتهم خلال فترة الأربعين في العراق، بل يتوقعون أن تكون تصرفات الإيرانيين أقل نفعية.

7. أيرنة الأربعين

يساهم عدد كبير من المواكب الإيرانية التي تكون في الغالب أكبر بكثير من المواكب العراقية وأفضل تجهيزاً، إلى جانب القضايا الأخرى، تساهم في تغيير الطابع العراقي التقليدي للأربعين وجعله إيرانياً، وشكل هذا الأمر مدعاة لحنق العراقيين.

8. النظرة الاستعلائية

يعتقدُ عدد من الزوار الإيرانيين بطريقة ما أنهم متفوقون على العراقيين، ويعكسون هذا الاعتقاد بطرق مختلفة، ويتسببون في امتعاض العراقيين. على سبيل المثال، يعتبرون أنفسهم أكثر حضارة وثقافة، أو يعتبرون أن العراقيين يستحقون ديكتاتوراً وزعيماً جائراً مثل صدام.

9. المنافسة بين الإيرانيين والعراقيين

في بعض الأحيان تندلع منافسة حول إقامة موكب أو حتى في أسلوب العزاء بين مجاميع البلدين. فمثلاً راية الموكب أو أي مجموعة تكون أكبر أو أي مجموعة تُتاح لها فرصة قراءة أناشيد الرثاء أولاً أثناء الحضور المتزامن لهيئات العزاء في الإحرام.

10. تصرفات غير محبذة

تجاهل قوانين المواكب، على سبيل المثال استخدام شخص أكثر من غطاء، والإقامة المجانية لمدة طويلة في منزل المستضيف العراقي، والاستخدام المفرط للخدمات المجانية وغيرها تعد من التصرفات غير المحبذة لعدد من الزوار الإيرانيين.

11. السلوكيات المنحرفة

في بعض الأحيان يتم الإبلاغ عن تصرفات مثل سرقة الهواتف النقالة أو الأجهزة الأخرى وتعاطي المخدرات وما إلى ذلك من قبل الزوار الإيرانيين.

12. أنماط سلوكية خاطئة

تدخين النرجيلة والسجائر رغم أنها تحمل معان متباينة في البيئة الثقافية العراقية، بيد أن إقبال الإيرانيين ولا سيما اليافعين والشباب على التدخين والذي يجربه بعضهم للمرة الأولى خلال هذه المراسم، يعد نوعاً من الضرر

13. الشعور بالتمييز

أفضى الدعم الكبير لإجراء الشعائر الشيعية ومحدودية السنة في إجراء شعائرهم، إلى أن يشعر أهل السنة في إيران بالتمييز. كما أن الإيرانيين المهتمين بالقيام برحلات أخرى بدل رحلات الزيارة ولا يحصلون على خدمات من قبل الحكومة، يندرجون ضمن المجموعات الساخطة على الخدمات الحكومية المقدمة إلى زوار الأربعين.

ج. قضايا البيئة

إلقاء النفايات بشكل كبير وتركها مكانها ولا سيما الأطباق البلاستيكية على طول الطريق وصولاً إلى الوجهة، يعد من المشكلات البيئية الرئيسة في زيارة الأربعين، فحجم هذه النفايات كبير للغاية إلى حد يسترعي أنظار جميع الزوار.

د. القضايا الدينية

إن زيارة الأربعين في مكانة الشعائر الدينية، وفق الطريقة التي تقام بها، تترافق مع أضرار دينية أيضاً وبعضها عبارة عن:

1. مواجهة الشيعة والسنة

تظهر هذه المواجهة في ثلاثة محاور:

2. تحشيد وتعزيز الهوية الشيعية

التركيز على هذا الحدث، يُعد بحد ذاته نوعاً ما حملة على أهل السنة.

3. ظهور بديل لمراسم الحج

يعمد البعض مراراً، سراً وجهراً، إلى طرح زيارة الأربعين كبديل عن الحج، ويمكن أن يعزز هذا الأمر مزاعم التيارات التكفيرية ضد التشيع.

4. تعاظم الشعور بالسخط لدى أهل السنة في إيران

جرت الإشارة إليه.

5. الخلافات بين الشيعة في الطريق

تندلع هذه الخلافات ولا سيما بين مناصري وجهة نظر الجمهورية الإسلامية وأولئك الذين لا ينضوون بحسب وجهة نظر الجمهورية الإسلامية في سياق التشيع الرسمي، وكذلك بين مناصري شخصيات مثل السيد اليماني وغيره. كما يندرج تسليط الضوء على الخلافات مع تيار الصدر في السياق نفسه.

6. تهميش أسس الإسلام والتشيع

باتت الأمور الجانبية المصاحبة لهذه المراسم بارزةً على نحوٍ يهمل فيه في بعض الأطوار مبدأ الزيارة والحزن من أجل سيد الشهداء، وكذلك إدراك فلسفة انتفاضته وتطهير الزائر.[3]

7. تشويه سياق الزيارة من منظور المسلمات الدينية

تتنافى بعض التصرفات المعهودة في مسيرة الأربعين، بشكل مباشر مع توصيات المسلمات الدينية المرتبطة بآداب الزيارة، إن بعض هذه تعليمات هي عدم تناول أطعمة متنوعة ورفض التلذذ، التحلي بالهدوء والتزام السكوت، الذكر الدائم لله، المثابرة على القيام بالأعمال العبادية وما إلى ذلك، هي تعليمات موصى بها بشكل مباشر في أحاديث آداب الزيارة.

هـ. القضايا السياسية والدولية

1. التأثير على علاقات إيران بالعراق

عدم التنسيق بين البلدين وأحياناً نشوب منافسة بينهما، سينتج عنه على المدى الطويل تبعات سياسية سلبية.

2. التأثير على علاقات إيران والعراق مع دول المنطقة

بالنظر إلى المواجهة بين السنة والشيعة في هذه المراسم، من المرجح أن تصبح علاقات إيران والعراق مع دول المنطقة السنية ولا سيما السعودية والدول الدائرة في فلكها، عرضةً للتغيير.

3. الدعاية الإعلامية السلبية الكثيفة

غالباً ما تصدر الشائعات سالفة الذكر من صلب وسائل الإعلام المرتبطة بالأنظمة السياسية المعارضة لإيران، فتعمد إلى استغلال هذه الأجواء أيضاً.

3 . أشرنا في التقرير الأصلي إلى أنه ثمة وجهات نظر للمسلمات الدينية تعارض مع ما يُعرف هنا بالقضايا والأضرار الدينية.

و. القضايا الاقتصادية

1. من وجهة نظر النقاد

يرى بعض النقاد أن الأموال التي تنفقها الحكومة والشعب على الأربعين في العراق، جدير أن تنفق في داخل إيران. كما يشتكي أهل السنة القاطنون في مدن مثل مريوان القابعة على طريق مرور الزوار باتجاه العراق، أن حافلات الزوار تستفيد من خدمات مطاعم محددة بعينها، على الرغم من الحضور الكبير للزوار في هذه المدينة إلا أنهم لا يظفرون بأي منفعة اقتصادية جراء ذلك.

2. من وجهة نظر الزوار

يطالب معظم الزوار بالحصول على خدمات مجانية أكثر، ويعتقدون أن تكاليف زيارة الأربعين مرتفعة للغاية، وهذا الاعتقاد ليس بعيداً عن فكرة التوقعات غير المعقولة لقسم من الزوار الذين يخالون الأربعين مجرد رحلة مجانية بالكامل.

ز. القضايا السياحية

الأربعين هو نوع من أنواع السياحة الدينية،[4] لذلك يواجه نفس العقبات والمشكلات السياحية. والسياحة بأنواعها تعني سفر الناس من مكان إقامتهم لأكثر من يوم وأقل من سنة، لتحقيق أهداف مثل الحصول على الاستجمام والمتعة واكتساب العلوم والتجارة أو اكتساب تجربة جديدة. وعليه تعد زيارة الأربعين أو أي نوع زيارة أخرى سياحة دينية. ويتعامل الكثير من الإيرانيين مع حدث الأربعين مثل التعامل مع أي رحلة أخرى ويتصرفون في الأربعين كما يتصرفون في أي رحلة أخرى أيضاً. على سبيل المثال مثلما يتوقفون خلال رحلاتهم لأيام عدة في وجهة سفرهم، يمكثون في النجف أو كربلاء لعدة أيام أيضاً. وبالنظر إلى حضور ملايين الزوار، فهذا الأمر يغدو مدعاة لظهور خلل في تقديم الخدمات ويتصاحب مع انتقاد المستضيفين العراقيين.

4 . في هذا السياق، ثمة آراء متباينة بخصوص طبيعة زيارة الأربعين بوصفها نوع من السياحة الدينية، على سبيل المثال يعتقد البعض أنه بسبب عدم وجود جوانب اقتصادية في بلد المنشأ، يتعذر إدراج هذه الرحلة تحت عنوان السياحة الدينية.

7.ملخص الأضرار

من خلال إلقاء نظرة على الأضرار آنفة الذكر، يبدو أن محور القضايا المرتبطة بالجانب الثقافي والاجتماعي لمسيرة الأربعين، تتمثل في قضية تبلور صورة خاطئة عن الأربعين. وهنا المقصود من "الصورة" هو التصور الذهني للأشخاص أو المجموعات حول أي ظاهرة توجدها في العموم وسائل الإعلام المتنوعة.

حيث تشكل الصورة أساس المعرفة وطبيعة تعامل الناس مع أي ظاهرة، وبناءً على هذا التعريف والوصف، فإن أي ابتعاد لصورة زيارة الأربعين عن معناها من منظور المسلمات الدينية وتحولها إلى صورة كرنفالية، يعد أمراً مضراً. فالكرنفالية هي حالة يتم فيها تهميش المعاني الرسمية والمعتمدة من منظور الإطار الديني للأربعين، وتغدو الجوانب الأخرى مثل البحث عن اللذة والإثارة والترفيه وما إلى ذلك جلية أكثر. حيث أبعدت هذه الظاهرة التي تُعرف في دراسات العلوم الاجتماعية بـ "تسليع الثقافة"، الكثير من المراسم والتقاليد عن أصالتها. وأصبحت مراسم مسيرة الاربعين بسبب خواصها الماهوية مثل التجمع الإنساني على نطاق واسع والمحدودية الزمنية وخدمة المشاركين وموضوعية المسيرة وغيرها عرضة لتحولها إلى الكرنفالية. فمعظم الأضرار المطروحة في مجال القضايا الثقافية للأربعين ناجمة عن انتقال صورة الأربعين إلى الماهية الكرنفالية والتي تبتعد عن معناها وفق منظور المسلمات الدينية.

من الضروري هنا توخي الدقة حيال أن الصورة تشكل أساس عمل الناشطين، ويتعامل الناس مع الظواهر ويتصرفون حيالها على أساس الصورة المتشكلة لديهم عنها. وعليه بما يخص مسيرة الأربعين، إذا كنا نسعى لتغيير السلوكات وأنماط العمل المضرة، فطالما لم تستبدل الصورة المشوهة عن زيارة الأربعين بالصورة المتوخاة، سيكون من الصعوبة توقع حل للمشكلة في هذا المجال.

تتمثل النقطة المحورية في تقديم صورة مثالية عن زيارة الأربعين، في العودة إلى معاني المسلمات الدينية لزيارة الأربعين أو أصالة هذه المراسم والتي تضررت جراء آلية تحولها إلى حدث كرنفالي أو تسليع الثقافة. بمعنى تتنافى آداب الزيارة عن بُعد المسلمات الدينية مع مجموعة من الأنماط السلوكية التي تعدُ أنماطاً مضرة في حدث الأربعين. وتعد ضرورة التحلي بالبساطة والقناعة بأقل قدر من الإمكانات وتجنب اللهو والإعراض عن الإسراف والسلوكيات من هذا القبيل، من الآداب الضرورية لهذه الزيارة، كما يفضي عدم مراعاتها إلى تبلور مجموعة من الأضرار في هذا السياق.

8.الحلول والمقترحات

يرتكز محور هذا التقرير على مشاركة الزوار الإيرانيين في مراسم مسيرة الأربعين. وتأسيساً على ذلك جرى التركيز في شرح الأضرار واقتراح الحلول على المخاطب الإيراني. وفي الوقت ذاته مع الأخذ بعين الاعتبار مجموعة الأضرار المطروحة في التقرير، أُثيرت مجموعة من المقترحات وكذلك حالات مشوبة بالمخاطر تعني المخاطب العراقي ولا سيما الحكومة العراقية. سيتم طرحها في محاور ثلاثة.

المحور الأول: المقترحات المعنية بدور الحكومة العراقية

ستطُرح المقترحات المعنية بدور الحكومة العراقية تحت عناوين رئيسة ثلاثة تشمل البنى التحتية والقضايا الثقافية والبيئية.

1. البنى التحتية

1.1. تطوير قطاع النقل

تتحول قضية النقل خلال فترة الأربعين في إيران والعراق إلى قضية تثير تحديات. وتظهر هذه القضية بشكل خاص في الجانب العراقي في نقل الزوار بين حدود إيران ومدن النجف وكربلاء المقدستين. وفي هذا السياق يبدو أن إمكانية استقطاب الطرف الإيراني للمشاركة في المشاريع المعنية بتطوير البنية التحتية للنقل في حال تسهيل الظروف من قبل الحكومة العراقية، متاحة. يتعين توخي الدقة حيال أن تطوير البنى التحتية لقطاع النقل في مسارات الزيارة ليس فقط خلال فترة زيارة الأربعين وحسب بل طيلة العام يمكن أن يفضي إلى استقطاب أكبر للزوار وفي المحصلة تحقيق منافع مادية أكبر من ذي قبل من خلال ذلك.

1 .2. تطوير المحطات الحدودية

تخلق قضية انتشار الفوضى في المعابر والمحطات الحدودية من ناحية تقديم الخدمات التي يحتاجها الزوار وازدحام الجموع كل عام خلال فترة الأربعين، مشكلات عديدة. وسوف يحل الاستثمار في تطوير المحطات والمعابر الحدودية وكذلك تنظيم تقديم الخدمات التي يحتاجها الزوار في الأربعين، مثل الوصول السهل والسريع إلى خدمات النقل بسعر عادل ومعتمد، معظم مشكلات هذه الرحلة، وكما أشرنا في الموضوع السابق فلن تنحصر فوائد ذلك في فترة زيارة الأربعين وحسب.

1 .3. تقنين دخول الزوار مع التركيز على حفظ كرامتهم

يحظى حفظ كرامة زوار الأربعين بأولوية وأسبقية من بين كل الأمور الأخرى. فالجموع الغفيرة للزوار المشاركين في مسيرة الأربعين تتسبب في ظهور مشكلات كثيرة لا سيما في موضوع الدخول والخروج من العراق.

رغم أن فرض قيود على عدد زوار الأربعين من الدول الأخرى له ضوابط ثقافية وسياسية، لكن على ما يبدو خلال الظروف الراهنة هذه الضوابط والقيود ضرورية لجهة تقديم خدمات أمثل وحفظ كرامة الزوار. وبغية إيجاد ركيزة ثقافية لفرض هذه القيود وتحديد نسبة عدد الزوار الإيرانيين، يتعين الحصول على دعم وحماية المجتمع الديني في العراق وإيران في هذا الموضوع. لهذا فإن التركيز والتشديد على حفظ كرامة الزائر والتأكيد على جوانب مسلماتها الدينية ضروري ومطلوب.

2. القضايا الثقافية

يرجع البعد الثقافي لأضرار مسيرة الأربعين بشكل رئيس إلى موضوع الخلاف وانعدام وجود تفاهم ثقافي متبادل بين الإيرانيين والعراقيين. وفي هذا السياق لتقليص هذه الهوة الثقافية وإيجاد فهم متبادل، نطرح المقترحات التالية.

1.2. إجراء أبحاث مشتركة

حتى الآن أجرى الباحثون الإيرانيون أبحاثاً متنوعة حول موضوع التباينات والاختلافات الثقافية الإيرانية والعراقية. ويبدو أنه من أجل التعرف على هذا المجال أكثر وكذلك توضيح أهم نقاط الاختلاف وخلق التوتر الناجم عن القضايا الثقافية يتعين التركيز بشكل أكبر على الجمهور العراقي في هيئة الزائر ومسؤولي المواكب. من الواضح أن إجراء هذا النوع من الأبحاث من قبل الجانب العراقي يتسم بعمق أكبر في فهم الجانب العراقي للموضوع. لذلك، يُقترح إجراء سلسلة من الأبحاث على شكل بحث إثنوغرافيا (علم الأعراق) وكذلك إجراء مسوحات كمية وميدانية بهدف فهم أبعاد القضية الثقافية لزيارة الأربعين. حيث يمكن طرح هذه الأبحاث في شكل تعاون مع مجموعات إيرانية عملت بشكل مكثف على موضوع زيارة الأربعين خلال السنوات الأخيرة. كما أن تعريف برنامج البحث على أساس سنوي يتيح لمتخذي القرار إمكانية مراقبة الوضع وقياس المتغيرات.

2.2. التوعية والإعلام

يمكن أن يُفضي توفير المعلومات وإتاحة الموضوعات التي يحتاج الزوار الإيرانيون لمعرفتها عن الثقافة العراقية، إلى تقليص بعض التوترات والقضايا الثقافية. وتجدر الإشارة إلى أن نسبة كبيرة من جموع الزوار الإيرانيين تتألف من أشخاص يشاركون للمرة الأولى في زيارة الأربعين، وبالتالي ليسوا على اطلاع كافٍ بالأجواء الثقافية العراقية. وبعد تحديد الأمور التي تتسبب بالأضرار في موضوع الاختلاف الثقافي، يتعين تقديم مجموعة من المعلومات من قبل الحكومة والمؤسسات العراقية التي تعني الجمهور الإيراني، تتضمن شرحاً مألوفاً ومفهوماً، بغية تقديم معلومات ضرورية عن الثقافة العراقية للجمهور الإيراني. حيث يعد موضوع إعداد دليل إرشادي ونصب لافتات ولوحات إعلانية من أول الإجراءات التي يتعين اتخاذها في هذا المجال، لتطلع الزائر الإيراني على المسموحات والمحظورات المرتبطة بالسلوك الثقافي في العراق.

3.2. معرض الأربعين في إيران

تشكل المعارض الدولية العامة فرصة مناسبة لتعرف مواطني بلدٍ ما على الثقافات الأجنبية. حيث إن إجراء معارض دورية حول الثقافة العراقية في إيران فضلاً عن إمكانية عرض الأبعاد المجهولة للثقافة العراقية للمخاطب الإيراني، بوسعها أيضاً من خلال التركيز بشكل خاص على موضوع الأربعين وميدانه الثقافي بأسلوب أخاذ وجذاب أن تقدم لعامة الجمهور الذي تستهدفه معلومات ضرورية بخصوص الأبعاد الثقافية الدخيلة في ظاهرة مسيرة الأربعين.

3. البيئة

1.3. إعداد لوائح وأنظمة للمواكب

تحظى إدارة النفايات طيلة مراسم مسيرة الأربعين بأهمية بالغة. حيث إنه من الضروري إعداد أنظمة تنفيذية والانخراط في ميدان التنظيم في موضوع إدارة النفايات لتحسين هذا الأمر. فالقوانين التي تلزم كل موكب بإدارة النفايات والتخلص منها بشكل صحيح يمكن أن تحل جزءاً من هذه المشكلة.

2.3. دعوة الحكومة العراقية المنظمات المدنية الإيرانية والعراقية

باتت القضايا البيئية تشكل هاجساً لدى قسم من المنظمات على نحوٍ أصبحت فيه مجموعات كثيرة في المجتمع المدني مستعدة لإنفاق المال وتخصيص الوقت للعمل في هذا المجال. حيث إن إيجاد بيئة آمنة للعمل من قبل الحكومة العراقية بالنسبة للمنظمات المدنية يمكن أن يساهم في تهيئة قسم كبير من الموارد البشرية اللازمة بما يتعلق بموضوع إدارة النفايات. وفي حال قدمت الحكومة للموارد الشعبية الإيرانية والعراقية المتطوعة الترتيبات والإمكانات الأولية (مثل مكان للسكن وتعاون تنظيمي لازم لجهة تأمين البنى التحتية لإدارة النفايات) حينئذ يمكنها أن تطلع بقسم كبير بما يتعلق بهذا الأمر. وستلعب الدوافع الدينية والمذهبية فضلاً عن الدوافع البيئية دوراً مكملاً لقسم من هذه الموارد البشرية.

4. المخاطر

فضلاً عن المقترحات المطروحة ينبغي الإشارة إلى بعض المخاطر الموجودة في إجراء مراسم الأربعين أيضاً. إذ لم يُطرح في الوقت الراهن حلاً واضحاً لها. وتتضمن المخاطر بشكل أساس الحالات التالية:

1.4. قضية العرب والعجم

ثمة مجموعة من التعصبات القومية والعرقية لدى الجانبين الإيراني والعراقي، إذ إن المواقف والتصرفات مهيأة لخلق توتر بين الشعبين.

2.4. تاريخ الحرب

رغم كل الأواصر والصداقات التي تجمع الشعبين الإيراني والعراقي، لا يزال لدى الجانبين بسبب تاريخ الحرب قابلية لخلق التوتر. فوجود نظرة سلبية حيال الطرف المقابل بوصفه مجموعة لها تاريخ من الصراع يمكن أن يخلق توتراً ويجدد الجراح التاريخية في بعض المجالات. وفي حال لم يتم التحكم في العوامل المؤثرة في نشوب هذا الصراع وتكرار الجراح التاريخية، يتعين توقع تبلور صراعات في هذا السياق.

4 .3. الخلاف الشيعي والسني

يمكن أن تشكل عوامل الخلاف الديني مع تعاظم الشعور بالتمييز لا سيما لدى أهل السنة في إيران والعراق، أساساً لظهور بعض التوترات المذهبية. حيث إن إجراء مراسم مسيرة الأربعين في بعض أبعادها تفرض حالات على أهل السنة يفتقدون فيها الدافع المذهبي الكافي لتحمل وطأتها. مثل هذه الحالة يمكن أن تشكل قاعدةً لظهور الخلاف والنزاع في بعض الحالات بين المجموعتين.

4 .4. الصورة السلبية لدى الشعب العراقي حيال تدخل إيران في بلادهم

تبرز صورة سلبية عن إيران لدى الشعب العراقي لا سيما بين الشيعة منهم في السنوات الأخيرة وهو موضوع يسترعي الاهتمام. إن مشاركة الإيرانيين لا سيما المؤسسات الحكومية الرسمية الإيرانية في مراسم الأربعين في بعض المجالات والأحيان يفضي إلى تفاقم هذه الصورة السلبية لدى الشعب العراقي.

المحور الثاني: المقترحات المعنية بدور حكومة إيران

1. حفظ كرامة الزوار وحفظ القيمة الشعبية لزيارة الأربعين

يشكل هذا المحور مقترحات أساسية لمشاركة الحكومة في حدث الأربعين. فضعف البنى التحتية والإدارة غير المنظمة في نقل الزوار يتسبب في أذاهم وإهانة كرامتهم. ومن جهة أخرى مع انخراط الحكومة في مجال «التحفيز الكبير» للزيارة وتقديم الخدمات والتي يتعين أن تجري بشكل شعبي وليست من مهام الحكومة، قلصت من القيمة الشعبية لزيارة الأربعين.

كما أن تركيز الحكومة على واجباتها الأولية والذاتية وتجنب الدخول في نطاق الأنشطة الشعبية يعد من أهم المناهج في صنع القرار من قبل صانعي السياسات. ويتعين على الحكومة من خلال التركيز على واجباتها الأساسية تقديم أكبر قدر ممكن من الخدمات لزوار الأربعين. ويُقترح أن تركز الحكومة على المحاور التالية:

2. إدارة الحشود

يُقترح لإدارة حشود الزوار الإيرانيين أن يقوم الزوار بالتسجيل في منصة منظمة الحج والزيارة؛ مثلما يجري الأمر في التسجيل للحج. وبذلك يحددون عدد الزوار بما يتناسب مع القدرة الاستيعابية

المعلنة من قبل الحكومة العراقية. وعلى غرار الحج من خلال هذه الآلية يمكن منح الأولوية للزوار الذين يقومون بهذه الرحلة للمرة الأولى ولفئات عمرية خاصة.

3. الإدارة وتحسين البنى التحتية لقطاع النقل في إيران والعراق

يواجه نقل الزوار في إيران وفي العراق مشكلات عديدة، ولحل هذه المشكلات يتعين على الحكومة من خلال القيام بالتنظيم المناسب ومنح تسهيلات، إتاحة الفرصة للقطاع الخاص لمحاولة المساهمة في حل هذه المشكلات. فإقامة محطات للمسافرين وإعادة بناء وتطوير الطرق والسكك الحديدية للزوار في إيران والعراق تعد من الإجراءات المهمة في عملية نقل الزوار بشكل أمثل. وتجدر الإشارة أنه إذا أرادت الحكومة تسعير الخدمات بشكل جدي وبذل مساعٍ لتخفيض تكلفة سفر زيارة الأربعين إلى أقل حد، فمن الطبيعي ستتقلص إمكانية استثمارٍ القطاع الخاص في هذا المجال.

كما نقترح ألا تمانع الحكومة الإيرانية في حصول الحكومة العراقية على الرسوم، وتشجيع الحكومة العراقية على تطوير البنية التحتية لسفر الإيرانيين إلى العراق من خلال مبالغ الرسوم التي تحصل عليها.

4. تقديم صورة صحيحة عن مسيرة الأربعين

كان لوسائل الإعلام في الجمهورية الإسلامية الإيرانية تأثير كبير في صناعة صورة الأربعين في أذهان الإيرانيين. ويبدو أن صناعة صورة «رحلة رخيصة» من قبل وسائل الإعلام يعد أحد الأضرار المهمة في هذا المجال. فمن أجل تحسين صورة زيارة الأربعين يتعين على وسائل الإعلام الحكومية التركيز على المفاهيم التالية:

- الترويج لمعاني وآداب المسلمات الدينية لزيارة الأربعين
- التركيز على مفهوم «سفر بسيط» بدل «سفر رخيص»
- تعريف الزوار الإيرانيين بعادات وثقافة العراقيين من أجل التصرف بشكل أفضل.

المحور الثالث: المقترحات المعنية بدور المجتمع والثقافة

1. قيام رجال الدين والشخصيات الدينية المؤثرة بدورهم

تحظى الشخصيات الدينية مثل المراجع والروايد والخطباء المشهورين وغيرهم بإمكانية إيجاد تأثير عميق في سلوك المجتمع الديني. حيث إن التوجيه إلى مقاربة هؤلاء الأشخاص للوضع المنشود والمقبول والمعقول في زيارة الأربعين، يؤثر بشكل كبير في رسم ونشر الصورة التي يتوخاها هذا الحدث. ويشكل صناعة محتوى مناسب وتقديم النموذج المثالي لصورة زيارة الأربعين لهؤلاء الأشخاص من خلال الاجتماع معهم، المقترح الأول لإصلاح صورة زيارة الأربعين.

2. صناعة محتوى متعدد الوسائط في سياق وسائل الإعلام الدينية

توفر وسائل الإعلام الدينية أجواءً مناسبة لعرض المحتوى على جموع غفيرة من المجتمع الديني الإيراني. وتتيح صناعة محتويات متعددة الوسائط بهدف إعادة النشر في وسائل الإعلام هذه، الدعاية للصورة المنشودة من الأربعين لعدد كبير من المخاطبين.

3. إظهار النموذج المثالي لتقديم الخدمات لمسؤولي المواكب الإيرانيين

يتحلى المستضيفون العراقيون بالبساطة والإخلاص، من السمات المهمة في خدمة الزوار. فقد شكلت بعض المواكب الإيرانية بسبب امتلاك إمكانات مادية أكبر، عاملاً في تهميش المواكب العراقية البسيطة.

تغيير هذا النموذج مع التركيز على البساطة المعنية بمعاني المسلمات الدينية لزيارة لأربعين، يمكن أن يُبرز أنموذجاً جديداً لخدمة الزوار من قبل المواكب الإيرانية. كما أن تكرار تجربة مثل « الإفطار البسيط» التي أقيمت في مساجد البلاد خلال شهر رمضان المبارك بدعم وتحفيز الشخصيات المؤثرة، يمكن أن يتكرر في زيارة الأربعين بالنظر إلى أداء المواكب الإيرانية.

4. ذم الجوانب الكرنفالية في مسيرة الأربعين

تتمثل أحد الحلول للحول دون وقوع حدث غير مستحب، في الإضاءة على استهجان وكراهة تلك الظاهرة في أذهان عامة الناس. كما تتمثل أحد هذه الحلول الأساسية في كل الأنشطة الإعلامية والدعائية في صناعة الصورة المنشودة من الأربعين من خلال: ذم الأبعاد والجوانب التي

تفضي إلى ابتعاد زيارة الأربعين عن جانب مسلماتها الدينية وتحولها إلى ظاهرة كرنفالية.

يحدونا الأمل عبر تطبيق هذه الحلول، بإزالة قسم كبير من أضرار حدث الأربعين أو تقليصها. وفي نهاية المطاف يتعين الاهتمام بنقطتين هامتين: لا جرم حدث بعظمة واتساع الأربعين ومشاركة أكثر من 25 مليون زائر 3 ملايين تقريباً منهم إيرانيون، لن يخلو من وقوع أضرار. أما النقطة المهمة الأخرى تتمثل في أنه لا ينبغي أن تستفحل الأضرار كثيراً وتصبح الأمور الجانبية أكثر بروزاً من الأصل والجوهر. وتأتي الحلول المطروحة في هذا البحث في سياق تسليط الضوء أكثر على الجوهر والأصل ورؤية المسلمات الدينية للأربعين المرتكزة على أصالة هذه الشعيرة بهدف تقليص الاهتمام بالجزئيات عن الكليات وبالفروع عن الأصول ولا سيما جوانبها الكرنفالية.

للاطلاع على النص المفصّل للتقرير باللغة الفارسية:

https://mssinst.com/wp-content/uploads/2023/08/%DA%AF%D8%B2%D8%A7%D8%B1%D8%B4_%D9%BE%DA%98%D9%88%D9%87%D8%B4%DB%8C_%D8%A7%D8%B1%D8%A8%D8%B9%DB%8C%D9%86_1402_%DA%AF%D8%B1%D9%88%D9%87_%D9%85%DB%8C%D8%B1%D8%A7%D8%AB_.pdf